

فن الجمال المرئى

(الرسم والتصوير والزخرفة)

● التصوير فى القرآن :

عرض القرآن الكريم للتصوير على أنه عمل من أعمال
الله تبارك وتعالى ، الذى يبدع الصور الجميلة ،
وخصوصاً صور الكائنات الحية ، وفى مقدمتها الإنسان :
﴿ هُوَ الَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ (١) .
﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ (٢) .
﴿ الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِى أَيِّ صُورَةٍ
مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ (٣) .

(٢) التغابن : ٣

(١) آل عمران : ٦

(٣) الانفطار : ٧ - ٨

وذكر القرآن أن من أسماء الله الحُسنى : اسم « المصور » .
كما في قوله تعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ،
لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ (١) .

كما عرض القرآن للتماثيل فى موضعين :
أحدهما : فى موضع الذم والإنكار ، وذلك على لسان
الخليل إبراهيم عليه السلام ، حيث اتخذها قومه أصناماً ،
أى آلهة تُعبد ، فأنكر عليهم ذلك قائلاً : ﴿ مَا هَذِهِ
التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا
عَابِدِينَ ﴾ (٢) .

والثانى : ذكرها القرآن فى معرض الامتنان والإنعام
على سليمان عليه السلام ، حيث سخر له الريح ، وسخر
له الجن يعملون بين يديه بإذن ربه : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ
مِنْ مَّحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ
رَاسِيَاتٍ ، اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا ﴾ (٣) .

* *

(٢) الأنبياء : ٥٢ - ٥٣

(١) الحشر : ٢٤

(٣) سبأ : ١٣

● التصوير فى السُّنة :

أما السُّنة .. فقد حفلت بأحاديث كثيرة صحيحة ، معظمها يذم التصوير والمصوِّرين ، وبعضها يشدّد غاية التشدد فى منع التصوير وتحريمه والوعيد عليه . كما ينكر اقتناء الصور ، أو تعليقها فى البيت ، ويعلن : أنّ الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة .

والملائكة هم مظهر رحمة الله تعالى ورضاه وبركته ، فإذا مُنعت من الدخول فى بيت ، فمعناه أنه محروم من الرحمة والرضا والبركة .

والتأمل فى معانى الأحاديث الواردة فى التصوير أو اقتناء الصور ، وفى سياقاتها وملابساتها ، ويقارن بين بعضها وبعض ، يتبين له : أنّ النهى والتحريم والوعيد فى تلك الأحاديث لم يكن اعتباطاً ولا تحكماً ، بل كان وراءها علل ومقاصد يهدف الشرع إلى رعايتها وتحقيقها .

✱

● تصوير ما يُعظَّم ويُقدَّس :

(أ) فبعض التصوير كان يُقصد به تعظيم المصوِّر ، وهذا التعظيم يتفاوت ، حتى يصل إلى درجة التقديس ، بل العبادة .

وتاريخ الوثنيات يدل على أنها بدأت بالتصوير للتذكرة
وانتهت بالتقديس والعبادة .

ذكر المفسرون فى قوله تعالى على لسان قوم نوح :
﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا
وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ (١) أن أسماء هذه الأصنام
المذكورة ، كانت أسماء رجال صالحين ، فلما ماتوا أوحى
الشیطان إلى قومهم : أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا
يجلسون إليها أنصاباً ، وسموها بأسمائهم ففعلوا ، فلم
تُعبَد . . حتى إذا هلك أولئك ، ونُسى العلم ، عُبدت (٢) .
وعن عائشة قالت : لما اشتكى النبى ﷺ ، ذكر بعض
نسائه كنيسة يقال لها « مارية » ، وكانت أم سلمة
وأم حبيبة ، أتتا أرض الحبشة ، فذكرتا من حسنهما
وتصاوير فيها ، فرفع رأسه فقال : « أولئك إذا مات فيهم
الرجل الصالح ، بنوا على قبره مسجداً ، ثم صوّروا فيه
تلك الصور ، أولئك شرار خلق الله » (٣) .

(١) نوح : ٢٣ (٢) رواه البخارى وغيره عن ابن عباس .

(٣) متفق عليه .

ومن المعروف أنَّ الصور والتماثيل أروج ما تكون في رحاب الوثنية ، كما عُرِفَ ذلك عند قوم إبراهيم ، وعند المصريين القدماء ، واليونان ، والرومان ، وعند الهنود - إلى اليوم - وغيرهم .

والنصرانية حينما « تروّمت » على يد قسطنطين إمبراطور الروم - دخلها كثير مما كان عند الرومان من مظاهر الوثنية .

ولعل بعض ما ورد من الوعيد الشديد على التصوير يُقصد به الذين ينحتون الآلهة المزعومة ، والمعبودات المتنوعة عند الأمم المختلفة : وذلك مثل حديث ابن مسعود مرفوعاً : « إنّ أشدّ الناس عذاباً عند الله : المصوِّرون » (١) .

قال النووي : « قيل هي محمولة على مَنْ فعل الصورة لتُعبَد ، وهو صانع الأصنام ونحوها ، فهذا كافر ، وهو أشدّ عذاباً ، وقيل : هي فيمن قصد المعنى الذى فى الحديث من مضاهاة خلق الله تعالى ، واعتقد ذلك ، فهذا كافر ، له من أشدّ العذاب ما للكفار ، ويزيد عذابه بزيادة قبح كفره » (٢) .

(١) متفق عليه . (٢) شرح النووي على مسلم : ٩١/١٤

وإنما ذكر النوى ذلك ، وهو من أشد المشددين في
تحریم التصوير واتخاذ الصور ؛ لأنه لا يُتصور - بحسب
مقاصد الشرع - أن يكون المصورُّ العادى أشدَّ عذاباً من
القاتل والزانى وشارب الخمر والمرابى وشاهد الزور . . .
وغيرهم من مرتكبى الكبائر والموبقات .

وقد روى مسروق حديث ابن مسعود المذكور بمناسبة
دخوله - هو وصاحب له - بيتاً فيه تمثيل ، فقال مسروق :
هذا تمثيل كسرى ؟ قال صاحبه : هذا تمثيل مريم . .
فروى مسروق الحديث .



● تصوير ما يُعتبر من شعائر دين آخر :

(ب) وقريب من هذا اللون من التصوير ما كان يُعبّر عن
شعائر دين معيّن غير دين الإسلام ، وأبرز مثل لذلك
« الصليب » عند النصارى . فما كان من الصور مشتملاً
على الصليب فهو محرّم بلا ريب ، ويجب على المسلم
نقضه وإزالته .

وفى هذا روى البخارى عن عائشة : « أن النبى ﷺ لم يكن يترك فى بيته شيئاً فيه تصاليب إلا نقضه » .



● المضاهاة بخلق الله :

(ج) مضاهاة خلق الله عزَّ وجلَّ ، بدعوى أنه يبدع ويخلق كما يخلق الله سبحانه ، ويدعو أن هذا أمر يتعلق بقصد المصور ونيتَه ، وإن كان هناك مَنْ يرى أنَّ كل مصوِّر مضاهٍ لخلق الله .

وفى هذا جاء حديث عائشة عن النبى ﷺ : « أشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة : الذين يضاهون بخلق الله » (١) .

فهذا الوعيد الغليظ يوحى بأنهم يقصدون إلى مضاهاة خلق الله ، وهو ما نقله الإمام النووى فى شرح مسلم ، إذ لا يقصد ذلك إلا كافر .

ويدل عليه حديث أبى هريرة الصحيح قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « قال الله تعالى : ومن أظلم ممن

(١) متفق عليه .

ذهب يخلق كخلقى ، فليخلقوا ذرَّةً ، وليخلقوا حبةً ،
أو ليخلقوا شعيرةً » (١) .

فقوله : « ذهب يخلق كخلقى » يدل على القصد
والتعمد .

ولعل هذا هو سر التحدى الإلهى لهم يوم القيامة ،
حيث يقال لهم : « أحيوا ما خلقتم » وهو « أمر تعجيز »
كما يقول الأصوليون .



● دخول الصور فى مظاهر الترف :

(د) أن تكون جزءاً من أدوات الترف ومظاهره .

وهذا ما يظهر من كراهية النبی ﷺ لبعض الصور فى
بيته ، فقد روت عائشة أنه عليه الصلاة والسلام خرج فى
غزاة ، قالت : فأخذتُ نَمَطاً (نوعاً من البُسط اللطيفة
أو الستائر) فسترته على الباب ، فلما قدم ، فرأى
النمط ، فجذبه حتى هتكه ، ثم قال : « إِنَّ اللَّهَ لَمْ
يَأْمُرْنَا أَنْ نَكْسُو الْحِجَارَةَ وَالطِّينَ » قالت : فقطعنا

(١) متفق عليه .

منه وسادتين ، وحشوتهما ليفاً ، فلم يعب ذلك على » (١) .

والنص بهذه الصيغة - « إنّ الله لم يأمرنا » - يقتضى أنه ليس بواجب ولا مندوب ، فهو لا يدل على أكثر من الكراهة التنزيهية ، كما قال الإمام النووى (٢) ، ولكن بيت النبوة ، ينبغى أن يكون أسوة ومثلاً للناس فى الترفع على زخرف الدنيا وزينتها .

يؤكد هذا حديث عائشة الآخر ، قالت : كان لنا ستر فيه تمثال طائر ، وكان الداخل إذا دخل استقبله ، فقال لى رسول الله ﷺ : « حوّلنى هذا ، فإنى كلما دخلت فرأيتّه ، ذكرتُ الدنيا » (٣) .

ومثله : ما رواه القاسم بن محمد عنها رضى الله عنها : أنه كان لها ثوب فيه تصاوير ، ممدود إلى سهوة ، فكان

(١) متفق عليه . (٢) شرح النووى على مسلم : ٨٦/١٤ ، ٨٧

(٣) رواه مسلم فى باب « تحريم الصور » : ٨٧/١٤

النبي ﷺ يصلى إليه ، فقال : « أخرّيه عني » قالت :
فأخرّته فجعلته وسائد .

وفى رواية عند غير مسلم : « أخرّيه عني ، فإنّ
تصاويره تعرض لى فى صلاتى » (١) .

فهذا كله من زيادة الترفه والتنعم ، وهو من وادى
الكرهية ، لا من وادى التحريم ، ولكن النووى قال :
« هذا محمول على أنه كان قبل تحريم اتخاذ ما فيه صورة ،
فلهذا كان يدخل ويراها ولا ينكره » (٢) .

ومعنى هذا : أنه يرى الأحاديث التى ظاهرها التحريم
ناسخة لهذا الحديث وما فى معناه ، ولكن النسخ لا يثبت
بمجرد الاحتمال . فإثبات مثل هذا النسخ يستلزم أمرين :

أولهما : التحقق من تعارض النصين ، بحيث لا يمكن
الجمع بينهما ، مع أنّ الجمع ممكن بحمل أحاديث التحريم

(١) رواه مسلم فى باب « تحريم الصور » : ٨٩/١٤

(٢) مسلم مع شرح النووى : ٨٧/١٤

على قصد مضاهاة خلق الله ، أو بقصرها على المجسم
(أى ما له ظل) .

وثانيهما : معرفة المتأخر من النصين . ولا دليل على أن
التحريم هو المتأخر ، بل الذى رآه الإمام الطحاوى
فى « مشكل الآثار » هو العكس ، فقد شدّد الإسلام فى
شأن الصور فى أول الأمر ، لقرب عهده بالوثنية ، ثم
رخّص فى المسطحات من الصور . أى ما كان رقماً فى
ثوب ، ونحوه .

وقد روى هذا الحديث عن عائشة بصيغة أخرى ، تدل
على شدة الكراهية من النبى ﷺ .

فعن عائشة : أنها اشترت نمرقة (وسادة صغيرة) فيها
تصاوير ، فلما رآها رسول الله ﷺ ، قام على الباب ،
فلم يدخل ، فعرفت فى وجهه الكراهية ، قالت : فقلت :
يا رسول الله ، أتوب إلى الله ، وإلى رسوله ، ما أذنبت ؟
فقال : « ما بال هذه النمرقة » ؟ قلت : اشتريتها لك
لتقعد عليها وتوسّدّها ، فقال رسول الله ﷺ : « إنّ
أصحاب هذه الصور يُعَذَّبون يوم القيامة ، ويقال لهم :
أحيوا ما خلقتكم » .

وقال : « إِنَّ البيت الذى فيه الصورة لا تدخله
الملائكة » (١) .



● نظرات فى فقه الأحاديث :

فى هذه الجوف الذى كان يحيط بفن التصوير والصور فى
عصر النبوة ، ورد معظم الأحاديث المحرمة . ولا غرو أن
شدَّت الأحاديث النبوية فى هذا الأمر ، وإن كان
تشديدها فى صنعة التصوير أكثر من تشديدها فى اقتناء
الصورة ، فبعض ما يحرم تصويره يجوز اقتناؤه فيما يُمتن
مثل البُسط والوسائد ونحوها مما يُتبدل بالاستعمال ، كما
رأينا فى حديث عائشة .

ومن أشد ما روى فى منع التصوير : ما جاء فى
الصحيحين عن ابن عباس مرفوعاً : « كل مصوِّر فى النار ،
يجعل له بكل صورة صوَّرها نفساً ، فيعذبه فى جهنم » .
وفى رواية للبخارى عن سعيد بن أبى الحسن قال :
كنت عند ابن عباس ، إذ جاءه رجل ، فقال :

(١) متفق عليه .

يا ابن عباس ؛ إني رجل إنما معيشتي من صنعة يدي ،
وإنني أصنع هذه التصاوير . فقال ابن عباس : لا أحدثك إلّا
ما سمعتُ من رسول الله ﷺ . سمعته يقول : « مَنْ
صوّر صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح ، وليس
بنافع فيها أبداً » . فربما الرجل ربوة شديدة (أى انتفخ غيظاً
وضيقاً) فقال : « ويحك ؛ إن أبيت إلا أن تصنع ، فعليك
بهذا الشجر ، وكل شيء ليس فيه روح » .

وروى مسلم عن حبان بن حصين قال : « قال لى على
ابن أبى طالب رضى الله عنه : ألا أبعثك على ما بعثنى
عليه رسول الله ﷺ ؟ ألا تدع صورة إلا طمستها ، ولا
قبراً مشرفاً إلا سويته » .

وروى مسلم عن عائشة أنها قالت : واعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام ، فى ساعة يأتيه
فيها ، فجاءت تلك الساعة ، ولم يأت ، وفى يده عصاً ،
فألقاها من يده ، وقال : « ما يخلف الله وعده ولا رسله » ! ثم
التفت ، فإذا جرو كلب تحت سريره ، فقال : « يا عائشة ؛
متى دخل هذا الكلب ههنا ؟ » فقالت : والله ما دريت !

فأمر به ، فأخرج ، فجاء جبريل ، فقال رسول الله ﷺ :
« واعدتني ، فجلستُ لك ، فلم تأت » ! فقال : منعني
الكلب الذي كان في بيتك ، إنّا لا ندخل بيتاً فيه كلب
ولا صورة » (١) .

وبهذا نرى أن عدد الأحاديث التي وردت في شأن
التصوير والصور ، ليس قليلاً ، كما زعم بعض من كتب
في ذلك ، فقد رواها جمع من الصحابة منهم : ابن مسعود ،
وابن عمر ، وابن عباس ، وعائشة ، وعلى ، وأبو هريرة ،
وأبو طلحة . وكلها في الصحاح .

وقد اختلفت آراء الفقهاء في قضية التصوير في ضوء
هذه الأحاديث ، وكان من أشدهم في ذلك الإمام النووي
الذي حرّم تصوير كل ما فيه روح من إنسان أو حيوان ،
مجسّماً (له ظل) أو غير مجسّم ، ممتهنّاً أو غير ممتهنّ ،
ولكنه أجاز استعمال ما يُمتهنّ ، وإن كان تصويره حراماً ،
كالمصوّر في البُسط والوسائد ونحوها .

(١) رواه مسلم .

ولكن بعض فقهاء السلف قصر التحريم على المجسم (الذى له ظل) وهو ما نطلق عليه عرفاً « التماثيل » ،
 فهى أوغل فى مشابهة الوثنية ، وهى التى يظهر فيها
 مضاهاة خلق الله ، لأن خلق الله وتصويره مجسم :
 ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ (١) .

وفى الحديث القدسى : « ومن أظلم ممن ذهب يخلق
 كخلقى » ، وخلق الله تعالى مجسم ، وهو الذى يمكن
 قبول نفخ الروح فيه ، إذ المسطح ليس قابلاً لذلك ،
 ولأنها أدخل فى الترف والسرف ، ولا سيما ما كان من
 المعادن الثمينة .

وهذا مذهب بعض السلف ..

وقد قال النووى : إنَّ هذا مذهب باطل ، فتعقبه الحافظ
 ابن حجر بأنه مذهب القاسم بن محمد ، ولعله أخذ
 بعموم قوله صلى الله عليه وسلم : « إلا رَقْماً فى ثوب »
 وسنذكر نص هذا الحديث .

(١) آل عمران : ٦

والقاسم بن محمد بن أبي بكر ، أحد الفقهاء السبعة
بالمدينة ، ومن أفضل أهل زمانه ، وابن أخى عائشة ،
ورأى حديث النمرقة عنها ، ويحتج له بالحديث التالى :

ففى الصحيح عن بُسر بن سعيد عن زيد بن خالد
الجهنى عن أبى طلحة صاحب رسول الله ﷺ أنه قال :
إن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ الملائكة لا تدخل بيتاً فيه
صورة » . قال بُسر : ثم اشتكى زيد بعدُ ، فعُدناه ، فإذا
على بابه ستر فيه صورة ، قال : فقلت لعبيد الله الخولانى
ربيب ميمونة زوج النبى ﷺ : ألم يخبرنا زيد عن الصور
يوم الأول ؟ فقال : ألم تسمعه حين قال : « إِلَّا رَقْماً فى
ثوب »

وأكد ذلك ما رواه الترمذى أَنَّ سهل بن حنيف وافق
أبا طلحة على هذا الاستثناء : « إِلَّا رَقْماً فى ثوب » .

وتأويل هذا بأن المراد به : ما كان لغير ذى روح ،
يعارضه حديث تمثال الطائر الذى كان فى بيت عائشة ،
وقول النبى لها : « حَوَّلَى هذا ، فإنى كلما رأيته ذكرتُ
الدنيا » ، أو : « فإن تصاويره تعرض لى فى صلاتى » .

فالأرجح قصر التحريم على المجسّم ، وأما صور

اللّوحات المسطحة على الورق ، أو الجدران ، أو الخشب ونحوها ، فأقصى ما فيها الكراهة التنزيهية ، كما ذكر الإمام الخطابي ، إلا ما كان فيه غلو وإسراف ، كالصور التي تباع بالملايين ونحوها .

ويُستثنى من المجسّم المحرّم : لعب الأطفال ، من الدمى والعرائس والقطط والكلاب والقرود ونحوها ، مما يتلهى به الأطفال ، لأن مثله لا يظهر فيه قصد التعظيم ، والطفال يعبثون بها .

ودليل ذلك حديث عائشة أنها كانت تلعب بالبنات (العرائس) ، وأن صواحب لها كن يجئن إليها فيلعبن معها . وكان الرسول الكريم يسر لمجيئهن إليها .

ومثل ذلك : التماثيل والعرائس التي تُصنع من الحلوى وتُباع في بعض المناسبات ، ثم لا تلبث أن تُؤكل .

كما يُستثنى من الحظر : التماثيل التي تُشوّه بقطع رأسها ، أو نحو ذلك منها ، كما جاء في الحديث أن جبريل قال للرسول ﷺ : « مرّ برأس التمثال فليُقطع حتى يصير كهية الشجرة » .

وَمَا التَّمَاثِيلُ النِّصْفِيَّةُ الَّتِي تُنْصَبُ فِي الْمِيَادِينِ وَنَحْوِهَا
لِلْمُلُوكِ وَالزُّعَمَاءِ ، فَلَا يَخْرِجُهَا مِنْ دَائِرَةِ الْحَظَرِ ، لِأَنَّهَا
لَا تَزَالُ تُعْظَمُ .

ونهج الإسلام في تخليد العظماء والأبطال يخالف نهج
الغربيين ، فهو يخلدهم بالذكر الحسن ، والسيرة الطيبة ،
يتناقلها الخَلَفُ عن السَلَفِ ، ويتمثلونها ، ويأتسون بها ،
وبهذا خُلِّدَ الْأَنْبِيَاءُ وَالصَّحَابَةُ وَالْأَئِمَّةُ وَالْأَبْطَالُ وَالرَّبَّانِيُّونَ ،
فأُحِبَّتْهُمُ الْقُلُوبُ ، وَدَعَتْ لَهُمُ الْأَلْسِنَةُ ، وَإِنْ لَمْ تُرْسَمْ
لَهُمْ صُورَةٌ ، وَلَا نُصِبَ لَهُمْ تَمَثَالٌ .

وكم من تماثيل قائمة لا يعرف الناس شيئاً عن أصحابها ،
كتمثال « لاطوغلى » في قلب القاهرة ، وكم من تماثيل
يمر الناس عليها فيلعنون أصحابها (١) .



● الصور الفوتوغرافية :

ومما لا خفاء فيه أَنَّ كُلَّ مَا وَرَدَ فِي التَّصْوِيرِ وَالصُّورِ ،
إِنَّمَا يَعْنِي الصُّورَ الَّتِي تُنَحَتُ أَوْ تُرْسَمُ عَلَى حَسَبِ مَا ذَكَرْنَا .

(١) انظر في موضوع التصوير والصور : ما فصلناه في
كتابنا « الحلال والحرام » فصل : « في البيت » .

أما الصور الشمسية - التى تؤخذ بآلة الفوتوغرافيا -
فهى شىء مستحدث لم يكن فى عصر الرسول ، ولا سلف
المسلمين ، فهل ينطبق عليه ما ورد فى التصوير والمصورين ؟
أما الذين يقصرون التحريم على التماثيل « المجسّمة » فلا
يزنون شيئاً فى هذه الصور ، وخصوصاً إذا لم تكن كاملة .
وأما على رأى الآخرين فهل تُقاس هذه الصور الشمسية
على تلك التى تبدعها ريشة الرسّام ؟ أم أن العلة التى
نصّت عليها بعض الأحاديث فى عذاب المصورين - وهى
أنهم يضاھون خلق الله - لا تتحقق هنا فى الصورة
الفوتوغرافية ؟ وحيث عدمت العلة عدم المعلول كما يقول
الأصوليون ؟

إنّ الواضح هنا ما أفتى به المغفور له الشيخ محمد
بخيت ^(١) مفتى مصر : « إنّ أخذ الصورة بالفوتوغرافيا -
الذى هو عبارة عن حبس الظل بالوسائط المعلومة لأرباب
هذه الصناعة - ليس من التصوير المنهى عنه فى شىء ،
لأن التصوير المنهى عنه هو إيجاد صورة وصنع صورة لم

(١) فى رسالة « الجواب الشافى فى إباحة التصوير
الفوتوغرافى » .

تكن موجودة ولا مصنوعة من قبل ، يضاهى بها حيواناً خلقه الله تعالى ، وليس هذا المعنى موجوداً فى أخذ الصورة بتلك الآلة » . (يؤكد هذا تسمية أهل الخليج الصورة « عكساً » والمصور « عكّاساً ») .

هذا . . . ومن المقرر أن لموضوع الصورة أثراً فى الحكم بالحرمة أو غيرها . ولا يخالف مسلم فى تحريم الصورة إذا كان موضوعها مخالفاً لعقائد الإسلام ، أو شرائعه وآدابه ، فتصوير النساء عاريات ، أو شبه عاريات ، وإبراز مواضع الأنوثة والفتنة منهن ، ورسمهن أو تصويرهن فى أوضاع مثيرة للشهوات ، موقظة للغرائز الدنيا ، كما نرى ذلك واضحاً فى بعض المجلات والصحف ، ودور « السينما » ، كل ذلك مما لا شك فى حرمة ، وحرمة تصويره ، وحرمة نشره على الناس ، وحرمة اقتنائه واتخاذه فى البيوت أو المكاتب والمحلات ، وتعليقه على الجدران ، وحرمة القصد إلى رؤيته ومشاهدته .

ومثل هذا صور الكُفَّار والظَلَمَة والفُسَّاق ، الذين يجب على المسلم أن يعاديهم لله ويبغضهم فى الله ، فلا يحلُّ

لمسلم أن يصوّر أو يقتنى صورة لزعيم ملحد ينكر وجود الله ،
أو وثنى يُشرك مع الله البقر أو النار أو غيرها ، أو يهودى
أو نصرانى يجحد نبوة محمد ﷺ ، أو مدع للإسلام وهو
يحكم بغير ما أنزل الله ، أو يشيع الفاحشة والفساد فى
المجتمع .

ومثل هذا : الصور التى تُعبّر عن الوثنية أو شعائر
بعض الأديان التى لا يرضاها الإسلام كالأصنام وما شابهها .



● خلاصة لأحكام الصور والمصوِّرين :

ونستطيع أن نجمل أحكام الصور والمصوِّرين فى
الخلاصة التالية :

(أ) أشد أنواع الصور فى الحرمة والإثم صور ما يُعبد
من دون الله ، فهذه تؤدى بمصوِّرها إلى الكفر إن كان
عارفاً بذلك قاصداً له .

والمجسّم فى هذه الصور أشد إثماً ونكراً . وكل من
روّج هذه الصور أو عظّمها بوجه من الوجوه داخل فى
هذا الإثم بقدر مشاركته .

(ب) ويليه فى الإثم مَن صَوَّرَ ما لا يُعبد ، ولكنه قصد مضاهاة خلق الله ، أى ادَّعى أنه يبدع ويخلق كما يخلق الله ، فهو بهذا يقارب الكفر ، وهذا أمر يتعلق بنية المصور وحده .

(ج) ودون ذلك الصور المجسَّمة لما لا يُعبد ، ولكنها مما يُعظَّم كصور الملوك والقادة والزعماء وغيرهم ممن يزعمون تخليدهم بإقامة التماثيل لهم ، ونصبها فى الميادين ونحوها ، ويستوى فى ذلك أن يكون التمثال كاملاً أو نصفياً .

(د) ودونها الصور المجسَّمة لكل ذى روح مما لا يُقدَّس ولا يُعظَّم ، فإنه متفق على حرمة ، يُستثنى من ذلك ما يُمتنَّه ، كلعب الأطفال ، ومثلها ما يؤكل من تماثيل الحلوى .

(هـ) وبعدها الصور غير المجسَّمة (اللّوحات الفنية) التى يُعظَّم أصحابها ، كصور الحكام والزعماء ، وغيرهم ، وخاصة إذا نُصبت وعُلقت ، وتتأكد الحرمة إذا كان هؤلاء

من الظلمة والفسقة والملحدين ، فإن تعظيمهم هدم للإسلام .

(و) ودون ذلك أن تكون الصورة غير المجسمة لذي روح لا يُعظَّم ، ولكن تُعدّ من مظاهر الترف ، والتنعّم كأن تُستَر بها الجُدُر ونحوها ، فهذا من المكروهات فحسب .

(ز) أما صور غير ذى الروح من الشجر والنخيل والبحار والسفن والجبال والنجوم والسحب ونحوها من المناظر الطبيعية ، فلا جناح على من صورها أو اقتناها ، ما لم تشغل عن طاعة أو تؤدّ إلى ترف فتكره .

(ح) وأما الصور الشمسية (الفوتوغرافية) فالأصل فيها الإباحة ، ما لم يشتمل موضوع الصورة على مُحَرَّم ، كتقديس صاحبها تقديساً دينياً ، أو تعظيمه تعظيماً دينياً ، وخاصة إذا كان المعظَّم من أهل الكفر أو الفساق كالوثنيين والشيوعيين والفنانين المنحرفين .

(ط) وأخيراً . . إن التماثيل والصور المحرّمة أو المكروهة إذا شوّهت أو امتُهنت ، انتقلت من دائرة الحرمة والكراهة إلى دائرة الحِلّ ، كصور البُسط التى تدوسها الأقدام والنعال ونحوها .



● تأويلات :

ومن المعلوم أنَّ هناك بعض العلماء حاولوا أن يؤولوا الأحاديث الصحاح الواردة في تحريم التصوير واقتناء الصور ليقولوا بإباحة الصور كلها حتى المجسَّمة منها .

مثل ما حكاه أبو على الفارسي في تفسيره عمن حمل كلمة « المصوِّرين » في الحديث على مَنْ جعل لله صورة ، يعنى : المجسَّمة والمشبَّهة الذى شبَّهوا الله تعالى بخلقه ، واعتبروه جسماً وصورة ، وهو تعالى ليس كمثله شئ .

ذكر هذا أبو على الفارسي في كتابه « الحُجَّة » (١) وهو تكلف واعتساف لا تساعده الألفاظ الثابتة في الأحاديث .

ومثل مَنْ استند إلى ما أُبيح لسليمان عليه السلام ، وذكره القرآن في سورة سبأ : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ ﴾ (٢) ولم يقولوا بنسخه في

(١) مخطوط مصوَّر بدار الكتب المصرية برقم (٤٦٣) .

(٢) سبأ : ١٣

شريعتنا . وهذا الرأي ذكره أبو جعفر النحاس ، وحكاه بعده مكىّ فى تفسيره « الهداية إلى بلوغ النهاية » (١) .

ومثل مَنْ حمل المنع على مجرد الكراهة ، وأن هذا التشديد كان فى ذلك الزمان لقرب عهد الناس بعبادة الأوثان ، وقد تغَيَّر الحال فى العصور التالية . (هذا مع أن الوثنية لا زال يدين بها آلاف الملايين) .

وهذا قاله بعضهم من قبل ، ورد عليهم الإمام ابن دقيق العيد ، بأن « هذا القول باطل قطعاً ، لأن هذا مناف للعلّة التى ذكرها الشارع ، وهى أنهم يضاهون أو يشبّهون بخلق الله . قال : وهذه علّة عامة مستقيمة مناسبة ، لا تخص زماناً دون زمان . وليس لنا أن نتصرف فى النصوص المتظاهرة المتضافرة بمعنى خيالى » (٢) .

(١) انظر : مقال العالم الرسام - الدكتور عبد المجيد وافى - بمجلة « رسالة الإسلام » عدد (٥١) رجب ١٣٨٣ هـ ، وقد جعله الدكتور فتحى عثمان ضمن ملاحق كتابه « الفكر الإسلامى والتطور » ملحق رقم (١٠) .

(٢) انظر : الإحكام شرح عمدة الأحكام ، لابن دقيق العيد : =

والثابت الواضح أن هذه الأقوال لم تقنع العقل المسلم ،
وبالتالى لم تؤثر فى المجرى العام للحضارة الإسلامية
والحياة الإسلامية ، وإن عمل بها بعض الناس فى بعض
البلدان ، كما رأينا فى أسود قصر الحمراء بغرناطة فى
الأندلس ، وبعض ما حكاه الإمام القرافى فى كتابه
« نفائس الأصول فى شرح المحصول » عن شمعدان
وُضِعَ للملك الكامل ، كلما مضى من الليل ساعة انفتح
باب منه وخرج منه شخص فى خدمة الملك الخ ،
وأن القرافى نفسه عمل شمعداناً زاد فيه : أن الشمعة يتغير
لونها كل ساعة ، وفيه أسد تتغير عيناه من السواد الشديد
إلى البياض الشديد ، إلى الحمرة الشديدة ، ويسقط
حصانان من طائرين ، ويدخل شخص ، ويخرج شخص
غيره ، ويُغلق باب ويُفتح باب ، فى كل ساعة لها لون .

= ١٧١/٢ - ١٧٣ - طبع منير ، وانظر تعليق العلامة الشيخ
أحمد شاکر على الحديث (٧١٦٦) من مسند أحمد ، وانظر كذلك
التعليق على الحديثين (١٨٦٤) ، (١٨٦٥) من كتابنا « المتقى من
الترغيب والترهيب » - طبع دار الوفاء .

وإذا طلع الفجر طلع الشخص على أعلى الشمعدان ،
واصبغه فى أذنه ، يشير إلى الأذان ، قال القرافى : غير
أنى عجزت عن صنعة الكلام (١) .

وقريب من ذلك ما حكاه ابن جبير فى رحلته عن
وصف الساعة التى كانت بجامع دمشق ، وفيها تمثال
صقور إلخ .



● المزاج العام للحضارة الإسلامية :

ولكن المؤكد أنَّ المزاج العام للحضارة الإسلامية لم
يرحب بصور الإنسان والحيوان ، وخصوصاً المجسَّمة منها ،
وغلب عليه التجريد ، اللائق بعقيدة التوحيد ، لا التجسيم
اللائق بالوثنيات على اختلاف درجاتها .

ومن هنا اتجه الفن « التشكيلى » فى حضارتنا إلى أمور
أخرى أبدع فيها أيما إبداع ، وترك فيها آثاراً رائعة
الجمال .

(١) نقل ذلك الدكتور وافى فى مقاله المذكور .

تجلَّت فى الزخارف التى تفتنَّ فيها عقل الفنان المسلم
ويده وريشته ، وتجلَّى ذلك فى المساجد والمصاحف
والقصور والمنازل وغيرها : على الجدران والسقوف ،
والأبواب والنوافذ ، وعلى الأرضيات أحياناً ، وفى
الأدوات المنزلية ، وفى الأثاث ، والتحف والبُسط والثياب
والسيوف ، واستخدمت المواد المختلفة من الحجارة
والرخام والخشب ، والخزف والجلد والزجاج ، والورق
والحديد والنحاس ، والمعادن المتنوعة .

ودخل فى الزخرفة : الخط العربى بأنواعه المختلفة من
الثُّلُث والنسخ والرقعة والفارسى والديوانى والكوفى
وغیرها ، وافتنَّ الخطاطون فى ذلك كل الاقتنان ، وخلَّفوا
لنا لوحات فى غاية الحسن والإبداع .

وأكثر ما تجلَّى الفنَّان « الخط والزخرفة » فى المصاحف
والجوامع . أما الجوامع فلا زلنا نشهد منها آيات فى
الجمال ، كما فى المسجد النبوى ، ومسجد قبة الصخرة ،
والجامع الأموى بدمشق ، وجامع السلطان أحمد
والسليمانية باستانبول ، وجامع السلطان حسن وجامع

محمد علىّ بالقاهرة ، وغيرها وغيرها فى أنحاء العالم
الإسلامى .

وأبرز ما تجلّى فيه الفن الإسلامى إنما كان فى العمارة ،
وقد قال مؤرخو الحضارة : إن فن البناء أحسن معبراً عن
الفن الإسلامى ، وقد ظهر ذلك فى روائع كثيرة فى أقطار
عدة ، لعل أبرزها فى الهند : إحدى عجائب الدنيا
المتمثلة فى تلك الرائعة الهندسية الجمالية : « تاج محلّ » .

وهكذا كان منع التصوير والنحت سبباً لفتح أبواب
أخرى فى عالمّ الفنون ، جعلت للعالم الإسلامى تميزه
الخاص ، ومثاليته المتفردة (١) .



(١) انظر : مجالى الإسلام - تأليف حيدر بامآت : الفصل
الثانى عشر « خلاصة الفن الإسلامى » ص ٤٠٧ - ٤٤٥ ترجمة
عادل زعيتير - طبع عيسى الحلبى .